الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{قال المؤلف -رحمه الله تعالى- باب النهي عن سب الريح}.

- قال رحمه الله: باب النهي عن سب الريح، الريح هي ما يجري من تحرك الهواء، وما تُثيره مِن الغُبار، وما قد ينتج عنها من الضرر.
- والريح جندٌ من جند الله -عزَّ وجلَّ-، أهلك الله بها أمةً من الأمم، وهي قوم عادٍ، أهلكهم الله بالريح العقيم ،كما ذكر ذلك في الكتاب الكريم، فهي جندٌ من جند الله، تأتي بالخير بأمر الله، وتأتي بالشر، وهذا راجعٌ إلى الله، الذي يدبِّر الأمور، ولا يرجع إلى الريح نفسها، إنما هي مُدَبَّرَةٌ، فهي لا تُسب ولا تُحمد.

{عن أُبيٍّ بن كعبٍ -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرتْ به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرتْ به» صححه الترمذي}.

- قال صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح»؛ لأنها مُدَبَّرَةٌ لأمر الله -سبحانه وتعالى-، فيسألون الله أن يأمرها بخيرٍ، وأن يصرف شرها عنهم.
- «نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرتْ به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرتْ به» هذا هو العلاج، وأما سب الريح فلا يُجدي شيئًا، هذا من ناحيةٍ.
- الناحية الثانية أن في هذا سبًّا لمن دبَّرها، وقدَّرها، وهو الله -سبحانه وتعالى-، وهذا نقصٌ في التوحيد.

{«ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرتْ به»}.

- كما ذكرنا، أنه يَسأل الله مِن خيرها، ويستعيذ بالله من شرها؛ لأنها تأتي بالخير، وتأتي بالشر، وذلك بأمر الله، الذي دبَّرها وأرسلها -سبحانه وتعالى-، فهو يُسند الأمر إلى الله، ولا يُسنده إلى الريح، وهذا من تحقيق التوحيد.

{قال المؤلف -رحمه الله تعالى- في هذا الباب مسائل، الأولى: النهي عن سب الريح}.

- وهذا صريحٌ في قوله: «لا تسبوا الريح»، فإن "لا" ناهيةٌ.

{الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع، إذا رأى الإنسان ما يكره}.

- الأمر الثاني: الإرشاد إلى الكلام النافع، إذا رأى الإنسان ما يكره من الريح، أو خاف منها، فيقول: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما أُمرتْ به، ونعوذ بك من شرها، وشر ما أُمرتْ به ، فيُرجع الأمر إلى الله -سبحانه وتعالى-، لا إلى الريح، وهذا من تحقيق التوحيد.

{المسألة الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورةٌ}.

- في الحديث بيانٌ أن الريح لا تدبِّر من نفسها، وإنما هي مأمورةٌ بأمر الله، الله يرسل الرياح لواقح، يرسل الرياح مدمراتٍ، يرسل الرياح مثيراتٍ للسحاب، يرسل الرياح ملقحاتٍ للسحاب، يرسل الرياح مؤلفاتٍ للسحاب، فهي مُدَبَّرَةٌ بأمر الله -سبحانه وتعالى.

{المسألة الرابعة: أنها قد تؤمر بخيرٍ، وقد تؤمر بشرٍّ}.

- قد تؤمر الريح بخيرٍ، من تأليف السحاب، وتلقيحه، ونزول المطر منه، وحمل السحاب أيضًا، حمله إلى الجهة التي أرادها الله -عزَّ وجلَّ-، ففيها مصالح، فيسأل الله من خيرها، ويستعيذ بالله من شرها؛ لأنها قد تأتي بالعذاب، تأتي بالدمار، تأتي بالنقص في الثمار والزروع.

{من الأسئلة في هذا الباب، باب النهي عن سب الريح، المؤلف -رحمه الله- أطلق النهي، ولم يذكر تحريمًا ولا كراهةً}.

- الأصل في النهي التحريم، ولا يصرفه عن التحريم إلا دليلٌ آخر، يدل على أنه لكراهة التنزيه.

{ما الفرق بين الريح والرياح؟}.

- الرياح جمعٌ، والريح مفردٌ، فالرياح جمع ريحٍ، هذا الفرق بينهما.

{وما الحكمة من النهي عن سب الريح؟}.

- لأن بعضهم يقول: إن الريح إنها إذا جاءت بهذا اللفظ يُخاف منها، لأن الله أهلك بها أمةً من الأمم، وأما الرياح ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: 57]، فهي تدل على الخير.

{الخير الذي يكون من الريح ما هو؟}.

- الريح فيها مصالح، أنها تلقِّح السحاب بالماء، أنها تؤلف بين السحاب المتفرق، أنها تسوقه إلى الجهة التي أمر الله بإنزال المطر فيها، أنها تحمله إلى ذلك، الله -جلَّ وعلَا- جعل فيها مصالح.

{وصف الريح بأنها شديدةٌ، هل فيه شيءٌ؟}.

- لا، وصفها بأنها شديدةٌ، أنها حارةٌ، أنها مُغبَرَّةٌ، لا شيء فيه، هذه صفتها، أنها طيبةٌ ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: 22]، هذه صفتها.

{هل في سب الريح اعتراضٌ على أقدار الله؟}.

- **نعم**، فيه إسناد الأمر إلى الريح، إذا حصل ضررٌ يُسنده إلى الريح، والذي ينفع ويضر هو الله -سبحانه وتعالى-، وإنما الريح مسخَّرةٌ مدبَّرةٌ بأمر الله، فهي جندٌ من جنود الله -عزَّ وجلَّ.

{ ما المستفاد في هذا الدرس، باب النهي عن سب الريح؟}.

- المستفاد منه أن الإنسان لا يتكلم في ذم الريح، أو مدحها، وإنما يشكر الله على ما فيها من خيرٍ، وأيضًا يعرف أن ما جاءت به من الضرر أنه من الله -سبحانه وتعالى-، فيحمد الله على قدره، ويتوب إلى الله؛ لأنها ما تُقدَّر بالشر إلا بذنوب العباد، فيتوبون إلى الله -سبحانه وتعالى.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{قال المؤلف -رحمه الله تعالى- باب ما جاء في منكري القدر}.

- القدر والقضاء من الله -سبحانه وتعالى-، هو تقدير الأمور التي تقع في هذا الكون، فما من شيءٍ يحدث ويقع إلا وقد قدَّره الله -جلَّ وعلَا-، وقضاه، وكتبه في اللوح المحفوظ، والإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، قال صلى الله عليه وسلم: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، فجعله من أركان الإيمان.
- الإيمان بالقدر خيره وشره، أنه من الله -سبحانه وتعالى-، فهو الذي يقدِّر الخير، ويقدِّر الشر، وله الحكمة البالغة في ذلك، فلابد من الإيمان بذلك، وأنه لا يجري في هذا الكون إلا ما قدَّره الله -سبحانه وتعالى-، وشاءه، فعدم الإيمان بالقضاء والقدر، ينقص به ركنٌ من أركان الإيمان، وبالتالي من أنكر القضاء والقدر لا يكون مؤمنًا بالله -سبحانه وتعالى-، وهذا نقصٌ في التوحيد، ولهذا أورده الشيخ -رحمه الله- في هذا الكتاب.

{قال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحدٍ ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله، ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر}.

- لما ذُكر لابن عمر -رضي الله عنه- أن قومًا يُنكرون القدر، ولا يؤمنون به، أنكر عليهم، وقال: والذي نفس ابن عمر بيده، لو أنفق أحدهم مثل أحدٍ ذهبًا، -مثل أحدٍ- يعني: جبل أحد، الجبل العظيم حول المدينة، لو أنفق ما يعادل هذا الجبل العظيم ذهبًا، في سبيل الله، ما تقبَّله الله منه، حتى يؤمن بالقضاء والقدر؛ لأن من جحد شيئًا من أركان الإيمان ليس بمؤمنٍ، ومن ذلك القضاء والقدر.
- **والناس في القضاء والقدر على ثلاثة أقسامٍ: طرفان ووسطٌ.**
  - ✓ طائفةٌ أنكرت القضاء والقدر، وهم المعتزلة.
  - ✓ وطائفةٌ غَلت في إثبات القضاء والقدر، وهم الجبرية، الذين يقولون: إنَّ العبد مجبورٌ، وليس له اختيارٌ، وإنما هو مجبورٌ يُحرَّك بغير اختياره، كالريشة في الهواء يُحرِّكها الهواء، وليس لها اختيارٌ في ذلك، وهذا كفرٌ بالله، وعبثٌ في الاعتقاد، ولابد أن يؤمن بقضاء الله وقدره وأنَّ ما شاءه الله كان وحدث، وما لم يشأْهُ

لم يكنْ ولم يوجدْ، كل ذلك بقضاء الله وقدره، ومع هذا فالإنسان مأمورٌ بفعل الأسباب، وبعمل الخير والطاعات، مع إيمانه بالقضاء والقدر، فلا يقتصر على الإيمان بالقضاء والقدر، ويكون من الجبرية، ولا يعتمد على القضاء والقدر ولا يعمل شيئًا فيكون من المعتزلة.

{ثم استدل بقول النبي -صلى الله عليه وسلم: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» رواه مسلم}.

- نعم استدل ابن عمر على قوله: لو أنفق أحدهم مثل أحدٍ ذهبًا ما تقبله الله منه، حتى يؤمن بالقضاء والقدر، استدل على ذلك بقول النبي -صلى الله عليه وسلم: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، فجعله -صلى الله عليه وسلم- ركنًا من أركان الإيمان الستة.

{وعن عبادة بن الصامت، أنه قال لابنه: يا بني، إنك لا تجد طعم الإيمان، حتى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك}.

- عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- الصحابي الجليل، لما حضره الموت، أوصى ابنه، ومن جملة ما أوصاه به الإيمان بالقضاء والقدر، وقال: يا بني، إنك لا تجد طعم الإيمان، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، فالإيمان، كثيرٌ يَدعي أنه مؤمنٌ، لكن لا يجدون طعم الإيمان، الإيمان له طعمٌ، وله ذوقٌ، وله حلاوةٌ، لا يجدها إلا المؤمن حقًا، لن تجد طعم الإيمان، حتى تؤمن بالقضاء والقدر.

{سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتبْ، فقال: ربِّ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيءٍ، حتى تقوم الساعة»}.

- سمع عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- من الرسول -صلى الله عليه وسلم- هذا الحديث، قال: «إن أول ما خلق الله القلم»
- هل القلم أول المخلوقات؟
- هذا ظاهر الحديث، أو أنه من أول ما خَلق، القلم قال له: اكتب، فالحديث محتملٌ هذا وهذا، وكلا الأمرين لا يتنافيان، فالحديث يدل على أن كل ما يجري في هذا الكون قد كتبه هذا القلم بأمر الله -سبحانه وتعالى-، ولهذا يقول الإمام ابن القيم في النونية:

والناس مختلفون في القلم الذي	كُتب القضاء به من الديانِ
هل كان قبل العرش أو هو بعده	قولان لأبي العلا الهمداني

- فالحاصل أنَّ قوله: «أول ما خلق الله القلم» يحتمل أنَّ القلم هو أول المخلوقات، ويحتمل أنه ليس أول المخلوقات، والعرش سابقٌ له، ولكن معنى الحديث أن الله عند خلقه للقلم أمره بالكتابة مباشرةً.

{سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: ربِّ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيءٍ، حتى تقوم الساعة»، يا بني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»}.

- يقول عبادة بن الصامت لابنه: يا بني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: ربِّ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيءٍ، حتى تقوم الساعة»، ثم قال عبادة لابنه: يا بني لو متَّ على غير ذلك، يعني على غير هذا الاعتقاد، وهو الإيمان بالقضاء والقدر، وأن كل شيءٍ يجري في هذا الكون، فقد قدَّره الله، وكتبه القلم الذي خلقه الله -سبحانه وتعالى.
- مَن مات وهو لا يعتقد هذا الاعتقاد، أن الأمور كلها مُقدَّرة ومقضية، وأنَّ القلم كتب كل شيءٍ بأمر الله -سبحانه وتعالى-، من مات على غير ذلك، فإنه لا يموت على الإسلام؛ لأنه مُنكرٌ لركنٍ من أركان الإيمان، وهو القضاء والقدر.

{وفي روايةٍ لأحمد: «إنَّ أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة»}.

- وهذه الرواية كالرواية التي قبلها، أنَّ القلم مخلوقٌ، وأن الله أمره، أول ما خلقه أمره أن يكتب كل ما يجري في هذا الكون، مما هو كائنٌ، إلى يوم القيامة، وأن من لم يؤمن بذلك فإنه لا يموت على الإيمان؛ لأنه أنكر ركنًا من أركان الإيمان الستة.

{وفي روايةٍ لابن وهب: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره، أحرقه الله بالنار»}.

- نعم، «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره، أحرقه الله بالنار»، هذا إخبارٌ أن الله يُحرق بالنار من لم يؤمن بالقضاء والقدر، فدل على أنه لابد من الإيمان بالقضاء والقدر، ومن لم يؤمن بذلك، فإنه يُعذَّب بالنار مع الكفار والعياذ بالله.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{كنا نقرأ في باب ما جاء في مُنكري القَدر، ووقف بنا الحديث عند المسند والسنن عن ابن الديلمي، قال: أتيت أُبيَّ بن كعبٍ، فقلتُ في نفسي شيءٌ من القدر، فحدثني بشيءٍ لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقتَ مثل أُحدٍ ذهبًا ما قَبِله الله منك حتى تُؤمن بالقدر، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، ولو متَّ على غير هذا لكنتَ من أهل النار}.

- هذا الحديث كالذي قبله، فيه إثبات القضاء والقدر، وأنَّ الله قدَّر وقضى كل شيءٍ يَحدث في هذا الكون مِن خيرٍ أو شرٍّ، وأنَّ الإنسان إذا آمَنَ بالقضاء والقدر، وعَلِمَ أنَّ كل شيءٍ قد قضاه الله وقَدَّره، فإنه يزول عنه القلق والهموم والأحزان، ويمضي في دنياه بما ينفعه مِن الأعمال الدينية والدنيوية، ولا يكون عنده خوفٌ من الحوادث، وخوفٌ من الأعداء؛ لأنه لابد أن يجري عليه القضاء والقدر، ولو كان حذرًا، وكان مختفيًا في بيته، فالله -جلَّ وعلَا- يقول: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ [آل عمران: 154]، هذا القضاء والقدر ﴿كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: 154].
- وقال سبحانه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: 78]، فالقضاء والقدر لا ينجي منه شيءٌ، فهذا مما يكسب المؤمن المضيَّ والعزم في أمور مصالحه الدينية والدنيوية، ويتوكل على الله -سبحانه وتعالى-، ويعلم أنه لا يجري عليه إلا ما قدره الله، وما قدره الله فلا نجاة منه، لابد أن يأتيه نصيبه منه، مهما عمل ومهما احتاط، المؤمن يؤمن بالقضاء والقدر، ويمضي في طلب مصالحه الدينية والدنيوية، ويتوكل على الله -سبحانه وتعالى-، فمن اعتقد هذا الاعتقاد زالت عنه إشكالاتٌ كثيرةٌ، وأوهامٌ كثيرةٌ، وزاد قوةً في إيمانه، وصلابةً في دينه واعتمادًا على الله -سبحانه وتعالى-.

{قال: فأتيتُ عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابتٍ، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. حديثٌ صحيحٌ، رواه الحاكم في صحيحه}.

- نعم، ابن الديلمي هذا مِن أهل اليمن، وهو من السابقين إلى الإسلام رضي الله عنه، سأل الصحابة، مِنَ أكابر الصحابة ومن سماهم في هذا الحديث، عَن الإيمان بالقضاء والقدر.

- وكلهم اتفق جوابهم على شيءٍ واحدٍ، وهو أنه لابد من الإيمان بالقضاء والقدر، وليس معنى ذلك أنك تعتمد على القضاء والقدر وتترك فعل الأسباب، بل تعمل ما فيه صلاح دينك ودنياك، ومعاشك، ومعادك، وتعتمد على الله، وتعلم أنَّ الحذر لن يُنجيك مِن القدر، وأنَّ ما كتبه الله لك أو عليك سيجري بأمر الله -سبحانه وتعالى-، ومادام الأمر كذلك، فإنك تمضي في طلب مصالحك الدينية والدنيوية، فالإيمان بالقضاء والقدر مما يزيد العبد مضيًّا في السعي في مصالحه، وأيضًا لا يعتقد أنه لو بقي في بيته، أو أنه اتخذ الحصون والدروع والجنود سينجو من قضاء الله وقدره، مادام الأمر كذلك، فإنه يُقْدِم على العمل فيما يصلح دينه ودنياه.

{قال المؤلف -رحمه الله تعالى- في هذا الباب مسائل عديدةٌ: الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر}.

- فرض الإيمان، يعني: جاء بالإيمان، أي: أنَّ الإيمان واجبٌ وفرضٌ على المسلم، وهو ركنٌ من أركان الإيمان، لا يصح الإيمان إلا به، فلابد من الإيمان بالقضاء والقدر.

{الثانية من المسائل: بيان كيفية الإيمان به}.

- هذه الكيفية .. أنَّ تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإذا اعتقدت هذا الاعتقاد، استرحتَ مِنَ الهموم والوساوس والأحزان، فتمضي في مصالح دينك ودنياك، وتعتمد على الله -سبحانه وتعالى-، وأن تعلم أن الحذر لا ينجي من القدر.

{المسألة الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به}.

- أنَّ من لم يؤمن به، أحرقه الله بالنار، كما في الحديث، أنَّ من لم يؤمن به لن يجد طعم الإيمان.

{المسألة الرابعة: أنَّ أحدًا لن يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به}.

- نعم، الإخبار من الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق، أنه لن يجد طعم الإيمان من لم يؤمن بالقضاء والقدر.

{الخامس من المسائل: ذكر أول ما خلق الله}.

- أول ما خلق الله القلم، كما في هذا الحديث، فهو أول المخلوقات.

{المسألة السادسة: أنه جرى في المقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة}.

- أنَّ هذا القلم لما خلقه الله، أمره بالكتابة، وقال: يا رب، وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، فما يجري في هذا الكون من خيرٍ أو شرٍّ، من إيمانٍ وكفرٍ، من طاعةٍ ومعصيةٍ، من رخاءٍ وشدةٍ، كله بقضاء الله وقدره، فهذا يُكسب الإيمان قوةً في دنياه، وفي دينه، إذا اعتقد هذا الاعتقاد، ويدفع عنه الشكوك والأوهام، ويدفع عنه الوساوس والأحزان، وينطلق في مصالحه الدينية والدنيوية.

{المسألة السابعة: براءته -صلى الله عليه وسلم- ممن لم يؤمن به}.

- براءة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ممن لم يؤمن بالقضاء والقدر، وبراءته -صلى الله عليه وسلم- تدل على أن هذا الأمر خطيرٌ جدًّا، الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يتبرأ إلا ممن ليس على سنة الرسول -صلى الله

عليه وسلم-، وهي الإيمان بالقضاء والقدر، يعني: من سنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- الإيمان بالقضاء والقدر، ومن لم يتمسك بسنته، فالرسول -عليه الصلاة والسلام- بريءٌ منه.

{المسألة الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة، وذلك بسؤال العلماء}.

- هذا أمرٌ مهمٌّ، عادة السلف -رحمهم الله-. والسلف، يُقصد بهم الصحابة والتابعون، ومن جاء بعدهم، أنهم إذا أشكل عليهم شيءٌ لا يتخرصون، ولا يقولون بغير علمٍ، يسألون أهل العلم والبصيرة، كما أمر الله -جلَّ وعلَا- في قوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، والرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: «ألا سألوا إذ لم يعلموا، إنما شفاء العي السؤال» ، فلابد من سؤال العلماء، ونقول: العلماء وليس المتعالمين، والمدعين للعلم، أو علماء الضلال، إنما المراد بالعلماء، المتمسكون بالكتاب والسنة، العلماء الذين عقيدتهم سليمةٌ، ومنهجهم قويمٌ، هم الذين يُسألون، الراسخون في العلم، يعني الثابتون في العلم، ليس المتزعزعين، أو المتشككين، وإن كانوا يدعون العلم.

{المسألة التاسعة والأخيرة في هذا الباب: أنَّ العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقط}.

- أجابوه بما يزيل شبهته، أنه لابد من الإيمان بالقضاء والقدر، وأن ذلك يحقق الإيمان، وأن من لم يسأل أهل العلم فإنه يضل، فهذا فيه دليلٌ على أنه يجب الرجوع إلى العلماء في المشكلات والمعضلات، قال الله -جلَّ وعلَا-: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، الإنسان لا يأخذ بتخرصه ورأيه، ولا يأخذ بأقوال المتعالمين والجهال، أو العلماء الضلال، وإنما يأخذ عن العلماء الراسخين في العلم، الذين سلمت عقيدتهم، وسلم منهجهم في هذا الدين، وسلمت عقيدتهم، فهم الذين يسألون، ويُرجع إليهم في المشكلات والمعضلات.

{ فرق القدرية والجبرية، هذه الطوائف، هل لها وجود الآن؟}.

- نعم، لها وجودٌ، الجبرية لهم وجودٌ، وكذلك القدرية المعتزلة وأتباعهم وعلماء الكلام لهم وجودٌ كثيرٌ أيضًا الآن، ولن يسلم إلا من التزم بمنهج السلف الصالح، وتمسك بالأدلة من الكتاب والسنة، وترك تخرصات المتكلمين، والفلاسفة، وغير ذلك.

{الإيمان بالقدر لاشك أن له فوائد، ما أبرز فوائد الإيمان بالقدر؟}.

- الطمأنينة في القلب، وثبات الإيمان، وعند المصائب، والنوازل يكون المسلم ثابت الإيمان، لا يتزعزع، ولا يتشكك، ولا يجزع أيضًا، ما يجزع إذا أصابه شيءٌ، وإنما يعلم أن هذا بقضاء الله وقدره، فيرضى بذلك ولا يجزع، فهذا يُكسبه قوةً في عمله وعلمه، وفي تصرفاته.

{ المسلم كيف نربي الأولاد تربيةً عقديةً صحيحةً؟}.

- المسلم يربي الأولاد مِن صغرهم، مِن سن التمييز، مِن بلوغ السابعة، قال -صلى الله عليه وسلم-: «مُروا أولادكم بالصلاة لسبعٍ» ، أو: «وهم أبناء سبع سنين» ، «مُروا أولادكم بالصلاة لسبعٍ، واضربوهم عليها

لعشرٍ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع» ، فهذا فيه دليلٌ على أنَّ الوالد مكلَّفٌ بتربية أولاده على طاعة الله -سبحانه وتعالى-، فإذا نُشِّأَ على ذلك، فإنه ينشأ ويكبر على هذه العقيدة الصحيحة، المؤسسة على اليقين، والاعتقاد الصحيح، وتكون فطرته سليمةً، كل مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، فالوالدان إما أن يحافظوا على فطرة الولد، ويأمروه بالصلاة لسبعٍ، ويضربوه عليها لعشرٍ، ويفرّقوا بين الأولاد في المضاجع؛ خشية ما لا يجوز من التصرفات، أو الشهوات، فالوالد يراقب أولاده، يحافظ على فطرتهم، كل مولودٍ يولد على الفطرة، فإذا حوفظ على هذه الفطرة نمت، وثبتت، ونشأ الطفل عليها، وإذا غُيِّرت هذه الفطرة إلى ملةٍ غير الإسلام، الإسلام دين الفطرة، هو الذي يوافق الفطرة، وأما غيره من الأديان فهو مخالفٌ للفطرة، فأبواه يهودانه، يجعلانه يهوديًّا، أو ينصرانه، يجعله نصرانيًّا، أو يمجسانه، يجعلانه مجوسيًّا منحرفًا عن دين الله -عزَّ وجلَّ-، كل هذه الأديان منحرفةٌ عن دين الله، والإسلام هو دين الفطرة، لم يقل يسلمانه؛ لأنه على الإسلام، وعلى الفطرة، لكن يحتاج إلى من يحافظ على فطرته، وينميها فيه، ويزكيها، فهذا هو المطلوب من الوالدين.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{وقف بنا الحديث عند باب: ما جاء في كثرة الحلف}.

- المراد بالحَلِف هنا: اليمين بالله -عزَّ وجلَّ-، والحلف: هو ذكر مُعظَّمٍ لتأكيد محلوفٍ عليه، ولا يكون الحلف إلا بالله -عزَّ وجلَّ-؛ لأنه هو المستحق للتعظيم، وحده لا شريك له.
- الحلف بغير الله يكون من الشرك، كما في الحديث: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» ، فقوله: «كفرَ أو أشركَ» شكٌّ من الراوي، هل قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «كفر» ، أو قال: «أشرك» ، وكلاهما محظورٌ عظيمٌ، الكفر والشرك، مما يدل على تعظيم الحلف بغير الله -عزَّ وجلَّ-، وأنه شركٌ أو كفرٌ.
- وأما الحلف بالله إن كان صادقًا، فيمينه بارةٌّ، وإن كان كاذبًا فيمينه آثمةٌ؛ لأنه مستهينٌ بعظمة الله -سبحانه وتعالى-، فعلى المسلم أن لا يُكثر من الحلف بالله، إلا إذا كان لذلك موجِبٌ وسببٌ، وأما التساهل بالحلف، وكثرة الحلف، الله -جلَّ وعلَا- يقول: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: 10، 11].
- ومِنَ الذين لا ينظر الله إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ: رجلٌ جعل اللهَ بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه.
- فالحلف بالله يجب أن تُعظَّم، ويجب أن تُصان، وألا يُكثر الإنسان منها، وأما ما يجري على اللسان، من غير قصدٍ، كقوله: "لا والله"، و"بلى والله"، وهو لا يقصد عقد اليمين، فهذا من لغو اليمين ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: 225]، هذا لغو اليمين، لا يؤاخذ الله به، إنما يؤاخذ الله باليمين المنعقدة، التي قصد عقدها على أمرٍ مستقبلٍ ممكنٍ، هذه هي اليمين الغموس، التي تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار، إذا كذب فيها.
- ومناسبة هذا الباب لكتاب التَّوحيد: أن تعظيم الحلف بالله من كمال التَّوحيد، والاستهانة بالحلف بالله من نقص التَّوحيد.

{قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: 89]}.

- يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ قيل معناه: لا تحلفوا إلا إذا اقتضى الأمر ذلك، وقيل معناه: لا تُكثروا من الحلف بالله -عزَّوجلَّ-، بل احفظوها، إلا عند الحاجة، وأن تكونوا بارّين لا كاذبين.

{عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «الحلف مُنَفِّقَةٌ للسلعة»}.

- يعني مروِّجةٌ للسلعة، الناس يصدقونه، وهو في نفس الأمر كاذب، فهذا يأثم.

{وعن سلمان أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «ثلاثةٌ لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ: أُشيمطٌ زانٍ، وعائلٌ مستكبرٌ، ورجلٌ جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بإسنادٍ صحيحٍ}.

- وهذا حديثٌ يؤكد تعظيم الحلف بالله -عزَّوجلَّ-، وعدم الاستهانة بها، «ثلاثةٌ لا يكلمهم الله» ، تكليم رضا «ولا يزكيهم» لا يطهرهم، «ولهم عذابٌ أليمٌ» عذابٌ مؤلمٌ شديدٌ، هذه ثلاثة أنواعٍ من الوعيد، على من استهان بالحلف بالله.
- «أُشيمطٌ زانٍ»، والأُشيمط هو الذي بدأ فيه الشيب، شمطه الشيب، مع كونه بهذه الحالة يزني؛ لأن الغالب على الزاني أن يكون في ريعان الشباب والقوة، وأما الأُشيمط، فهذا ليس فيه داعٍ للشهوة، شهوته ضعيفةٌ، فإذا زنا، فإنه يحب الزنا، وليس ذلك عن غلبة شهوةٍ، وإنما هو محبةٌ للزنا، مما يدل على جرأته على الحرام.
- «أُشيمطٌ زانٍ، وعائلٌ مستكبرٌ» ، العائل: هو الفقير، من العيْلة وهي الفقر، والغالب على العائل الفقير أنه يتواضع، فإذا كان يستكبر مع حالته التي لا تستدعي الاستكبار، هذا دليلٌ على أنه يحب الكبر؛ لأنه ليس فيه داعٍ للكبر؛ لكونه فقيرًا.
- والثالث، وهو محل الشاهد: «ورجلٌ جعل الله بضاعته» ، رجلٌ متاجرٌ، يبيع ويشتري، ويحلف على بيعه، وعلى شرائه؛ ليغُرَّ الناس بذلك، فيصدقوه على أنه اشترى السلعة بكذا، أو أنها سِيمت منه بكذا، وهو كاذبٌ، لأجل أن يروجها على الناس «لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه» ، وهذا محل الشاهد من الحديث للباب، أن تعظيم الحلف أنه من كمال التَّوحيد، والاستهانة بالحلف من نقص التَّوحيد.

{عن عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» ، قال عمران: فلا أدري أذكر مرتين أو ثلاثًا، «ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمن»}.

- في هذا الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «خير أمتي قرني»، القرن الذي بُعث فيهم الرسول -صلى الله عليه وسلم-، والقرن إذا أُطلق فهو الجيل من الناس، والقرن من الزمان مائة سنةٍ، أو قريبًا من ذلك، فخير هذه الأمة القرن الذين بُعث فيهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهم الصحابة، «ثم الذين يلونهم»، وهم التابعون، القرن الثاني بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
- قال الراوي: لا أدري ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة قرونٍ، الصحابة والتابعون وأتباع التابعين، وهذه تسمى بالقرون المفضلة.

- ثم يأتي بعد هذه القرون المفضلة من تظهر عليهم أو تحصل منهم الجرائم والاستهانة بأمور الدين، لضعف إيمانهم، وقلة توحيدهم.

{«ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يُستشهدون»}.

- «يشهدون ولا يُستشهدون» لا تُطلب منهم الشهادة، فهذا دليلٌ على استهانتهم بها، الذي عنده شهادةٌ لا يؤديها حتى تُطلب منه، إلا إذا خاف أن يضيع الحق، ولم تُطلب منه الشهادة، فإنه يتقدم ويشهد؛ حفاظًا على الحق أن يضيع.
- «ويخونون ولا يؤتمنون» يخونون الناس في بيعهم وشرائهم، وفي كلامهم، وإذا ائتمنوا على شيءٍ لم يحفظوه، يخونون في أماناتهم، ويخونون ولا يؤتمنون، لا يأتمنهم الناس، هؤلاء من شر القرون، ومن علامتهم أنهم يظهر فيه السِّمن؛ لأنهم يُكرمون أنفسهم بالأكل والشرب والطعام، ولا يخافون من المستقبل، ولا يخافون من الموت وما بعده، كأنهم آمنون في هذه الدنيا ومطمئنون فيها.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{كنا قد قرأنا جزءًا من أحاديث في باب ما جاء في كثرة الحلف، بقي هذا الحديث: عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» ، قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغارٌ.

- النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أن خير القرون قرنه، وهم الجيل، القرن المراد به الجيل، قرنه الذي بُعث فيهم، وهم الصحابة -رضي الله عنهم-، فالصحابة هم خير القرون، وليس بعد الأنبياء خيرٌ من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الصحابي هو: من لقي النبي -صلى الله عليه وسلم- مؤمنًا به، ومات على ذلك، هؤلاء هم الصحابة -رضي الله عنهم-، ولهم فضلٌ عظيمٌ، وهم أفضل قرون هذه الأمة المحمدية.
- «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم» ، القرن الثاني، وهم التابعون، الذين يأتون بعد صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
- قال الراوي: "لا أدري، ذكر بعد قرنه قرنيْن أو ثلاثةً "، هذه تسمى القرون المفضلة، الأربعة قرون، التي تأتي بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيها الفضل، وهم صدْر هذه الأمة، وقدوتها، ثم بعد ذلك تُفتح عليهم الدنيا، تكثر الفتن والشرور، ويكثر النفاق، فحينئذٍ يحصل الخليط في الأمة، فيحصل الخليط الكثير في الأمة، من أجناسٍ هابطةٍ، أو قليلةِ الفضل، وكل ما يتأخر الزمان، يحصل هذا الوصف للناس، كل ما تأخر الناس زمانهم، زمانهم تأخر عن الزمان القرون المفضلة، يحصل في الناس النقص، إلا من رحم الله، ولكن يبقى الخير في هذه الأمة، إلى أن تقوم الساعة، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: «لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله -تبارك وتعالى-» ، فيبقى هؤلاء الصنف من الناس، مستقيمين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولم يساعدهم، أو استهان بهم، ولا من خالفهم في دينهم، «لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله -تبارك وتعالى-» ، فالفضل في هذه الأمة باقٍ ولله الحمد، إلى أن تقوم الساعة، ولكن تكثر الشرور والفتن، ولكن هذا النمط من الناس هؤلاء لا يزالون على الحق ظاهرين، في مكانتهم، وفي قدرهم عند الناس، وعند الله -سبحانه وتعالى-، ظاهرين ومنصورين على عدوهم، لا يضرهم من خذلهم، ولا يضرهم من خالفهم، في أمور الدين، وأمور الاستقامة.

حتى يأتي أمر الله -تبارك وتعالى-، فهذا فيه البشارة من الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أن الخير باقٍ في هذه الأمة، وأن هذه الأمة لا تضل كلها، وإنما يبقى فيها بقيةٌ صالحةٌ، يكونون قدوةً لمن يريد الخير، ويريد الاستقامة، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله -تبارك وتعالى-، في نهاية هذه الدنيا، وقيام الساعة. فهذا فيه فضل هذه الأمة، مهما تكالب الأعداء عليها، ومهما كثر مخالفوها، ومهما كثر الذين يريدون التغلب عليها، فإن الله يظهرهم ويحميهم ويمدهم بنصره وإعانته؛ من أجل أن يبقى هذا الدين، هذا الدين العظيم يبقى حيًّا مصونًا، إلى أن يأتي أمر الله -جلَّ وعلَا- عند نهاية هذه الدنيا.

{قال المؤلف -رحمه الله تعالى- في هذا الباب رسائل عدَّةٌ: الأولى: الوصية بحفظ الأيمان}.

- المسألة الأولى: الوصية بحفظ الأيمان، قوله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: 89]، قيل معناه: لا تحلفوا، وقيل معناه: لا تحلفوا على الكذب، ولا تستهينوا بالكذب، ولا تكثروا من الأيمان إلا عند الحاجة، مع الصدق في اليمين.

{الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقةٌ للسلعة، ممحقةٌ للبركة}.

- الإخبار من الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأن الحلف يحصل به نفاق السلعة، ورواج السلعة؛ لأن الناس يصدقون صاحبها إذا حلف أنها من الصنف الفلاني، ومن الجيد، أو أنه اشتراها بكذا، أو أنها سِيمت منه بكذا وكذا، يريد ترويجها، ويريد نفاقها، فهذا يدل على استهانته باليمين، ويدل على ضعف توحيده.

{الثالث: الوعيد الشديد في من لا يبيع إلا بيمينه، ولا يشتري إلا بيمينه}.

- الوعيد الشديد: ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 77]، هذه أنواعٌ من الوعيد على من استهان بالحلف بالله -عزَّ وجلَّ-، واستخدمها لأجل أمور الدنيا، وآثر الدنيا على الآخرة.

{الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي}.

- أن الذنب يعظم مع قلة الداعي ، الأُشيمط ليس عنده داعٍ للزنا، ولكنه يحب الزنا، وهو في هذه السن، فهذا دليلٌ على قلة ورعه، وقلة دينه.

{الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون}.

- ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون، يعني: لا تطلب منهم اليمين، بل يبادرون بها، من غير طلبٍ، وهذا دليلٌ على استهانتهم بها، وعلى نقصان توحيدهم.

{السادسة: ثناؤهم -صلى الله عليه وسلم- على القرون الثلاثة، أو الأربعة}.

- ثناؤه -صلى الله عليه وسلم- على القرون، أي الأجيال الثلاثة، وهم الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين، والقرون المفضلة في أنها أقرب إلى وقت الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وإلى أهل الفضل والإيمان، والصدر الأول، هذه هي القرون المفضلة، التي يكثر الفضل فيها، والاستقامة فيها، والتوحيد، ثم بعدهم يتغير الأمر،

ويختلط الأمر، ولكن لا تزال طائفةٌ من أهل الحق ومن أهل الدين، لا تزال إلى أن تقوم الساعة، كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-.

{السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون}.

- ذم الذين يشهدون، يؤدون الشهادة قبل أن تُطلب منهم، فهذا دليلٌ على تهاونهم في أمر الشهادة. ولكن إذا كان خشي أن يضيع الحق، ولا يُعلم أن عنده شهادةً، فإنه يتقدم بها؛ لأجل أن يحفظ الحق لصاحبه، ويؤدي الأمانة التي ائتمنه الله عليها، وهي الشهادة بالحق.

{المسألة الأخيرة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد}.

- قال إبراهيم، يعني إبراهيم النخعي -رحمه الله-، وهو من كبار التابعين، قال: "كانوا" أي السلف الصالح "يضربوننا" أي يضربون الصغار على الشهادة والعهد؛ لأجل أن يربوهم على تعظيم التوحيد، وتعظيم الشهادة، تعظيم أمور الدين، فهذا فيه التربية، أنها حسن تربيةٍ، أنها مطلوبةٌ، وأما من ضيعوا ذريتهم، وضيعوا أولادهم، ولم يربوهم على الخير، تركوهم للأشرار، فهؤلاء خانوا الأمانة، التي ائتمنهم الله عليها، لأن الأولاد أمانةٌ في أعناق والديهم، أن يحفظوهم، وأن يؤدبوهم، وأن يربوهم على الخير، وأن يكفوهم عن الشر، ومن ذلك ألا يُدخلوا وسائل الشر إلى بيوتهم، بين أولادهم، ينظرون إليها، فيتأثرون بها، أو تكون بيوتهم مصونةً من هذه الوسائل الشريرة، والشبكات الفاسدة، التي تفسد الأولاد، تفسد الذريعة، وتفسد النساء، تفسد من في البيوت، وهم أمانةٌ في صاحب البيت؛ لأن صاحب البيت مؤتمنٌ على من فيه، قال -جلَّ وعلَا-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 6]، قو أنفسكم أولًا، ثم أهليكم، بأن تجنبوهم الشر، ووسائل الشر، خصوصًا في هذا الزمان، الذي كثرت وسائل الشر، وانتشار الشر، بواسطة هذه القنوات الهابطة، وهذه الشبكات الفاسدة، التي تجلب الشرور، والتي يُقذف فيها كل خبيثٍ، وكل بلاءٍ، فتدخل في بيوت هؤلاء، ويتأثر بها أولادهم، ونساؤهم، فهم المسئولون عن ذلك أمام الله -سبحانه وتعالى-، فعلى المسلمين أن يتنبهوا لهذا الأمر.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: باب ما جاء في الإقسام على الله}.

- قوله -رحمه الله-: "باب ما جاء في الإقسام على الله"، وذلك بأن يُقسم العبد على ربه، أن يفعل كذا وكذا، من باب حُسْن الرجاء في الله -عزَّوجلَّ-، فإذا وصل العبد إلى هذه المرحلة، فإنه حريٌّ أن يبرَّ الله بقسمه.

{عن جندب بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «قال رجلٌ: والله لا يغفرُ الله لفلانٍ، فقال الله -عزَّوجلَّ-: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلانٍ؟ إني قد غفرتُ له، وأحبطتُ عملك»، رواه مسلم}.

- هذا الحديث يدل على أن الإقسام على الله، إذا كان بأن الله يفعل الخير، فهذا شيءٌ مستحسنٌ طيبٌ، أما إذا أقسم على الله بأن لا يفعل الخير، ولا يرزق عباده، ولا يرحم فلانًا، فهذا حرامٌ ولا يجوز. هذا هو الذي فيه النهي، أن العبد يُقسم على الله أن لا يفعل الخير، فهذا الذي قال: "والله لا يغفر الله لفلانٍ"، هذا حلفَ على الله أن لا يفعل الخير بعبده، وهذا حجْرٌ على الله -سبحانه وتعالى-، وسوء أدبٍ مع الله، وفيه أيضًا إساءةٌ إلى المخلوق الذي حلف على منع الخير عنه، ولذلك يغضب الله على مَن فعل ذلك، فمن قال: "والله لا يغفر الله لفلانٍ" غضب الله عليه، وقال: «من ذا الذي يتألَّى عليَّ»، أي يحلفُ عليَّ أن لا أغفر لفلانٍ، «إني قد غفرتُ له، وأحبطتُ عملك»، قال كلمةً أفسدتْ دنياه وآخرته -والعياذ بالله-.

- فالإقسام على الله فيه نوعان: إقسامٌ على الله يفعل الخير، وهذا من باب حُسْن الظَّنِّ، والتفاؤل الطيب، وإقسامٌ على الله أن لا يفعل الخير، وهذا فيه إساءة أدبٍ مع الله، وفيه منع الخير عن العباد.

{وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن القائل، رجلٌ عابدٌ، قال أبو هريرة: "تكلَّم بكلمةٍ أوبقت دنياه وآخرته"}.

- جاء في هذا الحديث: أن هذا الرجل الذي قال هذا الكلام في حق أخيه، أنه كان يراه على المعصية فينهاه عنها، ثم يعود إليها، ثم ينهاه، فلما كثر منه ذلك، حصلتْ منه هذه الكلمة، فقال: "والله لا يغفر الله لفلانٍ، يعني بسبب ما أكثر من الذنوب، وهذا فيه إساءة أدبٍ مع الله، وحجرٌ على الله -سبحانه وتعالى-، ولذلك أوجب له أن الله أحبط عمله، وأبطله بسبب كلمةٍ أوبقتْ دنياه وآخرته، وفيه أن الإنسان يُمسك لسانه عن ما فيه خطرٌ عليه، أو على غيره من المسلمين.

{هل يُعتبر هذا منافيًا للتَّوحيد؟}.

- منافٍ لكمال التَّوحيد.

{قال المؤلف -رحمه الله تعالى- في هذا الباب مسائل عديدةٌ: الأولى: التحذير من التألِّي على الله}.

- التحذير من التألي، أي: عن الحلف على الله، أنه لا يفعل الخير، أو أنه لا يرزق عبده، أو لا يرحم عبده، أو لا يغفر له، فهذا فيه إساءة أدبٍ مع الله، وفيه سوء ظنٍّ بالله -عزَّ وجلَّ-.

{المسألة الثانية في هذا الباب: كوْن النار أقرب إلى أحدنا من شِرَاكِ نعله}.

- نعم، النار قريبةٌ من أحدنا أن يقع فيها، فهذا الرجل لما قال هذه الكلمة، قال الله -جلَّ وعلَا-: «قد غفرتُ له، وأحبطتُ عملك»، فهذا عهدٌ قريبٌ بكلام الرجل، أن الله أحبط عمله.

{المسألة الثالثة: أن الجنة مثل ذلك}.

- أن الجنة مثل ذلك، قريبةٌ، أقرب إلى أحدنا من شِرَاكِ نعله، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شِرَاكِ نعله، والنار مثل ذلك».

{المسألة الرابعة: فيه شاهدٌ لقوله: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة» إلى آخره}.

- نعم، فيه شاهدٌ في من يتكلم بالكلمة مما يُسخط الله -عزَّ وجلَّ-، فتُفسدُ عليه دنياه وآخرته.

{المسألة الخامسة: أن الرجل قد يُغفر له بسببٍ هو من أكره الأمور إليه}.

- نعم، أن الله قد يغفر للعبد بسببٍ يكرهه ، بل هو من أكره الأمور إليه، وذلك أن هذه الكلمة التي قالها هذا الرجل: "والله لا يغفر الله لفلانٍ"، سببتْ أن الله غفر له، وأخلف ظن هذا الذي أساء الظَّنَّ بربه، وقنط من رحمته، وأن لا يغفر لهذا المُذنب.

{بعض الناس قد يخلط العمل الصالح بالعمل السيئ}.

- نعم، أكثر الناس كذلك، يخلطون عملًا صالحًا، وآخر سيئًا، فيتقبل الله العمل الصالح، ويغفر السيئ، كما قال -جلَّ وعلَا-: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 102]، و"عسى" كما يقولون: من الله واجبة.

{كيف يتأدَّب المسلم مع ربه وهو يريد أن يحقق التَّوحيد؟}.

- يُمسك لسانه، يتأدَّب مع ربه، يُمسك لسانه عن الكلام السيئ، ويُحسن الظَّنَّ بالله -عزَّ وجلَّ-، ولا ييأس من رحمة الله.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: باب لا يُستشفع بالله على خلقه}.

- لا يُستشفع بالله على خلقه؛ لأن المشفوع عنده أعظم من المشفوع فيه، فإذا استشفع بالله على أحدٍ من خلقه، فقد تنقَّص الله -سبحانه وتعالى-، وهذا مُخِلٌّ بعقيدة التَّوحيد، ومُنقِّصٌ لها.

{عن جُبير بن مطعِم -رضي الله عنه- قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول، نُهِكَت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسقِ لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «سبحان الله، سبحان الله» ، فمازال يسبِّح حتى عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يُستشفع بالله على أحدٍ من خلقه» وذكر الحديث، رواه أبو داود}.

- في هذا الحديث شاهدٌ للترجمة، لا يُستشفع بالله على أحدٍ من خلقه؛ لأن هذا تَنَقُّصٌ لله -عزَّ وجلَّ-؛ لأن المشفوع عنده أعظم من الشافع، فإذا استشفع بالله على أحدٍ من خلقه، فقد تنقَّص الله، وجعل المخلوق أعظم من الخالق، تعالى الله عن ذلك، ولهذا لما قال هذا الرجل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: "نستشفع بالله عليك"، النبي -صلى الله عليه وسلم- تأثر عند ذلك؛ إجلالًا لله وتعظيمًا لله، فقال: «**ويحك**»، هذه كلمة توبيخ «أتدري ما الله؟ إنه لا يُستشفع بالله على أحدٍ من خلقه» ، وإنما العكس، أن يُستشفع بالمخلوق عند الخالق، هذا شيءٌ طيبٌ، الله يأذن بالشفاعة لمن يشاء؛ إكرامًا للشافع، ورحمةً بالمشفوع.

{في هذا الباب مسائلُ عديدةٌ: الأول: إنكاره على من قال: "نستشفع بالله عليك"}.

- النبي -صلى الله عليه وسلم- تأثر، وأنكر هذه الكلمة "نستشفع بالله عليك"، حتى عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه، تأثروا بتأثر الرسول -صلى الله عليه وسلم- من هذه الكلمة، التي فيها إساءةٌ في حقِّ الله -سبحانه وتعالى-، حيث جعل اللهَ شفيعًا عند أحدٍ من خلقه.

{المسألة الثانية: تغيُّره تغيُّرًا عُرِفَ وجوه أصحابه من هذه الكلمة}.

- تغيُّر النبي -صلى الله عليه وسلم- من هذه الكلمة، التي فيها إساءة أدبٍ مع الله -سبحانه وتعالى-، وفيها تنقُّصٌ لله سبحانه، فتأثر النبي -صلى الله عليه وسلم- خوفًا من الله -عزَّ وجلَّ-، وإجلالًا له من كلمة هذا الرجل، وتأثر الصحابة بتأثر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنهم يشق عليهم ما يشق على الرسول -صلى الله عليه وسلم-، كما أن الرسول يشق عليه ما يشق على أمته؛ لأنه بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ.

{المسألة الثالثة: أنه لم يُنكر عليه قوله: "نستشفع بك على الله"}.

- هذا جائزٌ، "نستشفع بك على الله" يجوز الاستشفاع على الله بأحدٍ من خلقه، **ولكن هذا له شرطان:**
  - ☑ **الشرط الأول:** أن يأذن الله بالشفاعة عنده.
  - ☑ **الشرط الثاني:** أن يكون المشفوع فيه ممن رضي الله قوله وعمله، بأن يكون من المؤمنين، من المسلمين.

{المسألة الرابعة: التنبيه على تفسير "سبحان الله"}.

- سبحان الله: التسبيح معناه التنزيه، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- نزَّه اللهَ عن قول هذا الرجل، الذي أساء في حق الله، فقال: "نستشفع بالله عليك".

{المسألة الخامسة: أن المسلمين يسألونه الاستسقاء}.

- أن المسلمين يسألونه الاستسقاء، يعني: أن يدعو لهم بالسقيا من الله -سبحانه وتعالى-، وهذا شيءٌ طيبٌ، فقد استسقى سيدنا عمر بالعباس، بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال -رضي الله عنه-: "اللهم إنَّا كنا إذا أجدبنا نستسقي بنبيك، وإننا الآن نستسقي بعمِّ نبيِّك فاسقنا، ادعُ يا عباس، فدعا العباس، واستسقى لهم، فأنزل الله عليهم الغيث: فالاستسقاء معناه: طلب السقيا من الله -سبحانه وتعالى-.

{من المسائل العامة التي نسأل عنها في هذا الحديث نرى حرص الرسول -صلى الله عليه وسلم- على تعليم الصحابة أمور دينهم}.

- بلاشكٍّ أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- حريصٌ كما وصفه الله بذلك ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: 128] فهو حريصٌ على أمته في أن يعلِّمها ما ينفعها، ويحذِّرها مما يضرها، ومن أعظم ذلك ما بينهم وبين الله -سبحانه وتعالى-، فإنه علمهم أن يتأدَّبوا مع الله، وأن يستحيوا من الله -عزَّ وجلَّ-، وأن يخافوا من الله، وينهاهم أن يتطاولوا بشيءٍ فيه إساءةُ أدبٍ مع الله -سبحانه وتعالى-، بسبب الجهل، وبسبب الجفاء، كما في قول الأعرابي.

{نختم هذا اللقاء بسؤال ، وهو: واجب الأمة تجاه رسولهم -صلى الله عليه وسلم-}.

- واجب الأمة تجاه رسولهم واجبٌ عظيمٌ، أولًا: عليهم أن يتبعوه، ويقتدوا به -صلى الله عليه وسلم-، ويطيعوه في ما أمرهم به، ويجتنبوا ما نهاهم عنه، وأن يحبوه محبةً أكثر من محبتهم لأنفسهم، ومن أولادهم، ووالديهم، ومن الناس أجمعين، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، هذا في حق الرسول، وحق الله -جلَّ وعلَا- أعظم، أن يحبَّه أكثر من كلِّ شيءٍ، والمحبة هي أعظم أنواع العبادة، المؤمنون يحبون الله حبًّا شديدًا، كما قال -جلَّ وعلَا-: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: 165]، فالله -جلَّ وعلَا- أحب إلينا من كلِّ شيءٍ؛ لأنه ربُّنا وخالقُنا، ورازقُنا، وبيده الملك، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، يُعطينا، ويرزقنا، ويُحيينا، ويُميتنا، ويُسعدنا، ويُشقينا، يجب من حقه تعالى ما لا يجب لحق غيره من الإجلال والتعظيم، وحسن الرجاء به -سبحانه وتعالى-، والإكثار من سؤاله.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

